ثورة فلسطين المشهورة ، فاذا بجريدة (السياسة) تقف ضدها ، ويكتب حسين هيكل (رغم ان العلاقة بينهما كانت مستمرة) مقالا افتتاحيا يهدده فيه ويهدد زملاءه الذين يقومون معه بنشر مظلمة فلسطين بالطرد من مصر بحجة انهم غرباء يقومون « بتهييج الرأي العام على مواطنيه اليهود المصريين »(٤).

وظل الطاهر يعيش في مصر مدة ثلاثين عاما بدون جنسية لان الانجليز قد ارادوا ذلك تأديبا له على عدم الاعتراف بشرعية استعمارهم ومحاربة فظائعهم « ليسهل عليهم مطاردته واخراجه من مصر أيام السلم ويمكنهم من حبسه ان وقعت الحرب ، طول مدة الحرب » حتى لقب (بالعربي التائه)(٥).

واعتمدت الحركة الوطنية في فلسطين على الطاهر وهو في مصر ، بتسهيل امر الدخول والتعريف بالثورات وخاصة مشكلة البراق ، كما ساهم بالاعداد للمؤتمر الاسلامي ١٩٣١ — ١٩٣٢، وكانت جريدته نصيرا ومرجعا . وفي اول اغسطس ١٩٣١ حين « كانت حكومات الشرق هائجة على الجرائد هياجا شديدا وبالاخص الحكومات الواقعة تحت الحكم الاجنبي » ففضل ان يوقف الشورى قبل ان تتعطل وذهب الى لبنان بطريق فلسطين في اغسطس ١٩٣١ .

وسجل بعد عودته مجموعة مذكرات هي عبارة عن خلاصة ملاحظاته وخواطره وبعض مشاهداته وهاشراته ، وكان هدفه من كتاب «نظرات الشورى» كما جاء في مقدمته « ان الناس الذين يأتون بعدنا قد يشوقهم أن يعرفوا صورة حقيقية عن جانب من حياة زماننا بما فيها من عوج او سخافات او شيء من فضائل الصفات » وجعل الكتاب دون تبويب او ترتيب لانه يظن « ان الناس قد سئموا الكتب المرتبة المنظمة فيجب أن يجربوا غير المرتبة وغير المنظمة » . وعلى حد قوله الكتاب « كشكول لحوادث ووقائع وملاحظات وخواطر » ..

بعد أن درس الحالة في فلسطين وجد « ان فلسطين لم تشعر بشيء غير طبيعي في حياتها الا بعد أن (شرفها) الانجليز بانتدابهم السعيد ... فالصهيونية لولا انكلترا لا تعد شيئا يؤبه له ، ولكن بريطانيا تريد مخالفة النواميس الطبيعية وأبسط قواعد الانسانية بأن تزيل بقوتها وجبروتها اهل فلسطين من فلسطين وان تقتلعهم اقتلاعا لتسكنها اليهود على ظن منها العالم سيكونسون عدتها على الامة العربية »(٦).

ووجد أن بريطانيا تعمل بخطى سريعة على تهويد البلاد كي تضمن « جعل البلاد الفلسطينية في حالات اقتصادية واجتماعية لتسهل بناء الوطن القومي فيها لليهود » ، وعددت الاساليب التي تتبع لادخال اليهود وطرد العرب « للتعجيل في جعل فلسطين يهودية لحما ودما » ، بل أن الحكم البريطاني « قد اشغلنا عن العمل لوطننا ولانفسنا وجعلنا ننهمك في الاشتغال بمقاومته وبالدفاع عن حياتنا »(٧). فاهل فلسطين منذ ١٩١٧ الى عام ١٩٣٢ « لم يطلبوا شيئا فاجيبوا اليه وما شكوا من نكبة فخففت عنهم ، بل ان جميع مطالبهم قد ضرب بها الاحتلال عرض الافق ان لم أقل كعب الحذاء »(٨). وفي حين دعمت الشركات اليهودية، ووضعت رسوما جمركية عالية لحماية المصنوعات اليهودية ، وتولت اقامة المعارض الصهيونية ، وحولت الطرق عن القرى العربية لتمر في وسط القرى والمزارع اليهودية. فبريطانيا هي التي تخلق الاسباب لاثارة الفلسطينيين حتى اذا رفعوا رؤوسهم بالشكوى عملت على ضربهم بالنار والحديد ، « والثورة التي قامت هي ثورة وطنية كان الباعث عليها حب البقاء من ناحية وحب السيطرة والغطرسة واذلال الامة العربية من الناحية الاخرى » ، وليس على اهل فلسطين الا ان يتخلصوا من الانتداب لينجوا منه ومن الصهيونية ايضا « لان الصهيونية ملحقة بالانتداب وهو الذي جاء بها »(٩).

ما هو مؤسف حقا ان عملية سلب حقوق أهل فلسطين لا يزال مستمرا والصهيونية تتقوى يوما بعد يوم « والزمن هو عدو فلسطين فكلما توالت الايام ضعفوا وازدادت قوة الصهيونية بل ان عدد اهل فلسطين هو انفسهم ما داموا يسكتون على ضياع حقوقهم ويشتغلون في النهش ببعضهم » .

وقد صور له الوضع تصويرا حقيقيا ، موظف عربي في الحكومة قال له « .. نحن العرب في حكومة فلسطين مثل الميزان فان كانت الامة متحدة شعرنا بالعزة أمام الانجليز وصاروا يحترموننا